كتاب ما اتّفقَ لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد [1]

د. محجوب محمد آدم (★)

الحمد لله وفّق وهدى ، وصلى الله على نبينا المصطفى ، أمينه على وحيه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

مقدمة

أثناء إعدادي لرسالة الماجستير ، وكانت بعنوان : " المبرِّد ، وجهوده النقدية والبلاغية " أهداني الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب (رحمه الله) نسخة مصورة من كتاب المبرد : " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد " ولم تنقض استفادتي بهذا الكتاب في تحقيق جوانب الرسالة سنة ١٩٨٧م ؛ حتى بدأت فكرة نشره محققاً تلح عليَّ ، ولم يصرفني عن تحقيق هذه الفكرة غير تهيبي من التعقيب على الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني ، وما بذله في تحقيق هذا الأثر من جهد علمي بارز ، عندما نشره سنة ١٣٥٠هـ في المطبعة السلفية بالقاهرة.

وقد سألني مراراً بعض طلاب العلم أن أدلهم على الكتاب ، أو أعيرهم ما بطرفي، فرأيت أن أعود إلى ما كنت نويته قبلاً : ضناً بتعليقاتي على النسخة المصورة ، ولما جدَّ بعد تحقيق الميمني من المصنفات تحقيقاً ونشراً ، وما اعتور التحقيق الأول من هنات طفيفة ؛ اذكر منها : طريقته في تخريج الآيات اعتماداً على أرقام ترتيب السور ؛ بينما التزمنا في تخريجنا أسماء السور فنقول : قال الله تعالى : ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة:٧٣) ويخرِّج الميمني الآية نفسها على النحو التالي :(٥٦:٧٤) ﴿ وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ ، ويلاحظ أنه أيضاً التزم غير ما نلتزمه في ترقيم الآيات ، كما أنه اعتمد في مراجعه على طبعات قديمة قياساً على ما وجدته بعضها من تحقيق أو أكثر , كما أننا عدلنا بالحذف أو الإضافة كثيراً من تعليقاته في

(١) تأليف أبي العباس محمد بت يزيد المبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥هـ تحقيق د. محجوب محمد آدم

(★) أستاذ مشارك بكلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري .

الحاشية تبعاً لما تقتضيه طبيعة الإحالة[1]. وأضفنا علامات الترقيم والتشكيل متى ما رأينا ضرورة لذلك ، وأضفنا بعض النقول من كتب التراث كالذي نقلناه في مفتتح كتاب المبرد عن كتاب المقتضب للمؤلف نفسه ، أو ما نقلناه عن كتاب المزهر للسيوطي ، بالإضافة إلى ما أضفناه لمتن الكتاب من تخريج الأبيات عروضياً .

ولهذا ، وغيره رأينا أن نعيد تحقيق الكتاب ، بعد التمهيد له بترجمة مختصرة للمؤلف ، ودراسة تحليلية لمحتوى الكتاب تتضمن الإشارة لأهم ما في الكتاب من مباحث لغوية ونحوية وبلاغية ، وما استخدمه من مصطلحات في هذه المباحث ؛ وذلك بغرض تأكيد ما للكتاب من قيمة علمية ، تجعله جديراً بالحرص عليه ، والاجتهاد في نشره .

ترجمة المؤلف :

هو : أبو العباس ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثُمالي الأزدي ، [2] فهو ينتسب إلى بني ثُمالة ، وهم بطن من شنوءة من الأزد . ولد سنة عشر ومائتين في خلافة المأمون ، وتوفى سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله ، واشتهر بلقبه (المبرِّد) . وقد عاش المبرد وترعرع في العصر العباسي ، وتثقف بثقافة عصره بعد أن تلقى علومه على مجموعة من العلماء منهم الجرمي والمازني وأبو حاتم السجستاني كما أخذ عن الزيادي والرياشي والتوزي والجاحظ وروى عنهم كثيرا في مؤلفاته . وعاصر أحد عشر خليفة ، لكنه لم يتصل بغير المتوكل ، وورد بغداد بعد سنة ٢٤٧هـ . وانصرف إلى إلقاء دروسه وحضور مجالس العلم ، وحاز في نفوس معاصريه مكانة رفيعة ، وحظي بتقديرهم ، ويستقدمه الوزراء والأمراء وعلية القوم لمجالسهم العلمية ومنادمتهم وتأديب أبنائهم ؛ لغزارة علمه ، وما كان يتمتع به من ذكاء لماح ، وحضور بديهة ، وسرعة جواب . وكان مع غزارة علمه وكثرة حفظه ووضوح شرحه يتمتع بجميل روايته وحسن فكاهته

(١) وقد رأينا أن نبقي تعليق الميمني في الحاشية دون إشارة ، وأن نصدِّر ما حررناه من تعليق بحرف الميم بين معقوفتين ؛ هكذا : [م] . وإذا أجرينا تعديلاً يستحق الإشارة لما حرره الميمني أشرنا إلى ذلك بقولنا : (بتصرف).

(٢) ترجمته في : مراتب النحويين ٨٣ ، أخبار النحويين البصريين ٧٢-٨١ ، طبقات النحويين واللغويين ١٠٨-١٢٠ ، الفهرست ٥٩ ، تاريخ بغداد ٣/٣٨٠-٣٨٧ .

وكثرة نوادره ؛ تسعفه حلاوة المخاطبة وعذوبة المنطق ؛ فساهم بعلمه وفكره في إثراء الحركة العلمية لعصره ، وكثرت أماليه ، وصنَّف في مختلف فروع العربية ما يربو على الخمسين مؤلفاً ، والمنشور منه قليل أشهره : كتاب الكامل الذي عدَّه ابن خلدون ، رواية عن شيوخه، ركناً هاماً من أركان أربعة يقوم عليها فن الأدب [1] ، ومنه أيضاً كتاب : المقتضب، والفاضل ، والمذكر والمؤنث ، وشرح لامية العرب ، والبلاغة ، والتعازي والمراثي ... وتتضح من محتوى مصنفاته غلبة الطابع اللغوي والأدبي ، فهو شيخ من شيوخ النحو والعربية في زمانه ، ويذكر على رأس الطبقة السادسة من نحاة البصرة ، وإليه انتهى علم النحو بعد طبقة الجرمي والمازني . واتفق المؤرخون له على أنه كان ثقة فيما يرويه ، وثبتاً فيما ينقله ، فتتلمذ عليه طائفة من العلماء ، وأخذوا عنه ، وصاروا أعلاماً وذوي آثار قيمة في مختلف ضروب المعرفة ؛ منهم الزجاج والأخفش الصغير وابن ولاد وابن السراج والدينوري وابن النحاس .

الكتاب وتحقيقه :

نشره العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمني ، أستاذ الآداب العربية في الجامعة الإسلامية بمدينة عليكرة (الهند) تحت عنوان : (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) بعد أن عُني بتصحيحه وضبطه في المطبعة السلفية بالقاهرة ، عام ١٣٥٠م . ويبدو من تعليق الميمني ، ومما ذكره محب الدين الخطيب في خاتمة الكتاب أن مخطوطة الكتاب كانت بخط رديء ، كثير الخطأ والتصحيف ، فرده الميمني إلى صورته الحالية . ولم يكن لنا بدٌّ من إقرار الكتاب على ما هو عليه ، واعتماد قراءة الميمني له ، على الرغم من أن ما نقله السيوطي (في كتابه المزهر ٣٠٥/١) من أول كتاب المبرد يؤكد وجود اختلاف واضح بينه وبين نسخة الميمني، ويختلف كذلك مع ما أورده المبرد نفسه (في كتابه المقتضب

(١) مقدمة ابن خلدون (تحقيق وافي ، ط. نهضة مصر ٣ ، القاهرة) ١٢٧٧/٣-١٢٧٨ .

٤٦/١) ؛ إذ يقول : " ومن كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين ؛ فأمَّا اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، فهو الباب ، نحو قولك : قام وجلس وذهب وجاءَ وجمل وجبل ، وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فنحو : جلس وقعد ، وقولك بُرَّ وحنطة وذراع وساعد ، وأمَّا اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، فقولك : ضربت مثلاً ، وضربت زيداً ، وضربت في الأرض : إذا أبعدت ، وكذلك وجدت ، تكون من وجْدان الضالّة ، وتكون في معنى علمت ، كقولك : وجدت زيداً كريماً ، وفي معنى الموجِدة، نحو : وجَدت على زيد . "

ولما كنا لا نملك غير هذا الكتاب في صورته الراهنة فلم يعد لنا ما نقارنه به، وجاز لك أن تقول إن السيوطي نقل من نسخة غير التي اعتمد عليها الميمني . والاختلاف على أية حال طفيف لا يشكل عقبة في تتبع خط الكتاب الأساس في تناول القضية اللغوية ، فالكتاب في قسمه الأول يكاد أن يكون تفصيلاً لما أجمله سيبويه (في كتابه ١/ ٢٤) تحت عنوان (هذا باب اللفظ للمعاني) إذ جاء فيه : " اعلم أنّ من كلامِهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، واختلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، وسترى ذلك إن شاء الله تعالى ؛ فاختلافُ اللفظين لاختلاف المعنيين هو ، نحو : جلسَ وذهبَ . واختلاف اللفظين والمعنى واحدٌ ، نحو : ذهبَ وانطلقَ . واتفاق اللفظين والمعنى مختلِف ، قولك : وجَدتُ عليه من المَوْجِدة ، ووجَدت إذا أردت وجِدان الضّالّة ، وأشباه هذا كثيرٌ ."

وقد تناول المبرد في كتابه مثالاً لاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين ، ومثالاً لاختلاف اللفظين والمعنى واحد ، ثم أمثلة لاتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، وذكر منها: وجد ، العين ، جلل ، الجون ، الرجاء ، الظن . وأورد أمثلة لتساوى الفعلين وتباين المخرجين كما في نحو قوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ ونبَّه إلى ما في بعض الألفاظ من اشتراك لفظي ؛ كالمطر والغيث والريح ، وأورد أمثلة

لإيراد الفعل بمعنى ما يصير إليه كما في نحو قوله تعالى :﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ . وتناول الفرق بين هيئتين في الاستفهام هما (وما أدراك) (وما يدريك) ، وذكر أمثلة للحذف وأخرى للتحويل في القرآن الكريم وكلام العرب .

ويتبين من هذا الاستعراض أن المبرد لم يقتصر على ما وسم به كتابه من عنوان ؛ بل قاده الاستطراد إلى تناول بعض القضايا الأسلوبية والبلاغية فذكر الإيجاز بالحذف و أن مسوغه " إذا كان فيما يبقى دليل على ما يلقي ". ومثّل لذلك بقوله تعالى :﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ وقال : لما كانت القرية والعير لا يسألان ولا يجيبان علم أن المطلوب غيرها ." ويبدو من هذا التعليق أنه تنبَّه أيضاً إلى ما في الآية من مفهوم المجاز المرسل . كما يتضح مفهوم الاستعارة التبعية في الحرف [(١)] فيما علّق به عند قوله تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً) فقد قال : وهم لا يلتقطون مقدرين فيه أن يُعاديهم ويحزنهم ، ولكن تقديره : فالتقطه آل فرعون فكان مصيره إلى عداوتهم وحَزَنهم." كما تنبَّه لاستعمال الفعل في غير معناه الحقيقي ، كقوله : " مجاز قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي خلّينا بينهم وبينهم ؛ كقول القائل : أرسلت حمارك على زرعي ، أي لم تحْبِسه ، فسمى التخلية بالإرسال. ومثّل لحذف جملة جواب الشرط (لو) اختصاراً لعلم المخاطب به ، في قوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الرعد:٣١) ، والجواب المحذوف ، والذي يعبر عنه بحذف الخبر ، تقديره كما يقول نقلاً عن المفسرين : (لكان هذا القرآن) ، ومثّل لحذف جواب الاستفهام بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ وقال : " ولم يقع بعد ذلك تفسير ،

(١) انظر : القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ٢٧٩/١ فقد ذكر أن الاستعارة تعتمد التشبيه ، وان التشبيه في الحروف لمتعلقات معانيها كالمجرور في قولنا زيد في نعمة ورفاهية ... وفي لام التعليل كقوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) للعداوة والحزن الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط . هذا وإن كان إجراؤه أقرب إلى مفهوم المجاز المرسل الذي علاقته اعتبار ما يكون ، وحده عند العلماء أن يسمى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل كما في قوله تعالى : (إني أراني أعصر خمراً) إنما كان يعصر عنباً تؤول عاقبته إلى أن يكون خمراً فسماها بذلك .

ومجاز هذا عند أهل النظر حذف الخبر لعلم المخاطب ؛ يريد تعظيم الأمر ، كقولك : لو رأيت فلاناً وفي يده السيف . أي : لرأيت بارعاً ؛ فاستغنى عن ذلك " (٢٦) وتنبَّه لحذف الموصوف [1] في قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ (النساء:١٥٩) أي أحد ، وكذلك :﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة:٢٣٤) والمعنى : أزواجهم يَتَرَبَّصْنَ بِأنْفُسِهِنَّ . وقال : إن هذا كثير ؛ ومثّل له بقول النابغة :

كَأَنَّكَ مِن جِمالِ بَنِي أُقَيشٍ يُقعقعُ خَلفَ رِجلَيهِ بشَنِّ

فقال : خلف رجليه ، ولم يذكر أولاً ما ترجع الهاء إليه ، ولكنه دلَّ عليه بقوله : من جمال بني أقيش ؛ فكأنه قال : كأنك جمل . وقد أورده الزمخشري في المفصل مثلاً لجواز حذف الموصوف ، وقال : وحق الصفة أن تصحب الموصوف ، إلا إذا ظهر أمره ظهورا يستغنى معه عن ذكره ؛ فحينئذ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه. [2] وأشار المبرد إلى حذف المسند ، ونبَّه أن من مسوغاته علم السامع . إلا أن تناوله له كان من وجهة نحوية ، ولم يوفق إلى ملاحظة القيمة الجمالية لهذا الحذف . كما تناول ظاهرة القلب ، ومثّل له بقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ (القصص:٧٦) وقال : وإنما العُصبة تنوء بالمفاتح . ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها . ويقولون : أدخلت القَلَنسُوَة في رأسي ، وأدخلت الخُفَّ في رجلي؛ وإنما يكون مثل هذا فيما لا يكون فيه لَبْس ولا إشكال ولا وهم . وقد ذهب المبرد إلى أن الهمزة تتخطى إلى التقرير والتوبيخ ، ومثّل له بما يقوله المعاقِب للمعاقَب: ألستَ الفاعل كذا ، أتذكر يوم كذا ما فعلت ، ليس ليعلم ذلك من

---

(١) وانظر المقتضب ١٣٦/٢ والكامل ١٣٣/٢ .

(٢) الزمخشري : المفصل في صنعة الإعراب ١٥٢/١ وانظر خزانة الأدب للبغدادي ٦٧/٥ وفي : سر صناعة الإعراب لابن جني ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٥م، ٢٨٤/١. أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه على كل حال قبيح وهو في بعض الأماكن أقبح منه في بعض . و قوله : كأنك من جمال بني أقيش ؛ فإنما جاز ذلك في ضرورة الشعر . وقال سيبويه ٢/ ٣٤٥ إن العرب " حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاء بعلم المخاطب ما يعنى .. وقال : أي كأنك جمل من جمال بني أقيش .. كما قالوا : لو أن زيداً هنا ، وإنما يريدون : لكان كذا وكذا ، وقولهم : ليس أحد ، أي ليس هنا أحد فكل ذلك حذف تخفيفاً واستغناء بعلم المخاطب بما يعني .

قبله ، ولكن لتوبيخه بما فعل ؛ ومثل لهذا النوع من الاستفهام بقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وقال : ليوبخ بذلك من حكاه عنه " . وأشار أيضاً إلى بعض صور البديع ؛ كالمشاكلة على ما يفهم من قوله لما أورد قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ونحوها مما يتضمن مفهوم المشاكلة : أي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ؛ فقد قال : المعنى : فاقتصُّوا منه ؛ يُمزَج اللفظ كلفظ ما قبله ، كقول العرب : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء. "

وقد استخدم المبرد مجموعة من المصطلحات البلاغية يتفق في بعضها بما استقرت عليه فيما بعد في كتب البلاغة كمصلح الحذف والاستفهام ، ولعل مرد ذلك إلى استقرار المصطلحات النحوية قبله .كما استعان ببعض المصطلحات التي كانت سائدة حتى عصره، والتي وضعت لها فيما بعد مصطلحات أخرى كمصطلح المجاز والتحويل ؛ فقد استخدم الأول في خروج الاستفهام عن أصل وضعه إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام ودلالته ؛ فيقول : " وقد يقال لغير صاحب الذنب احتجاجاً على الذنب ، وتوبيخاً له :...أأنت قلت لهذا ما ذكره عنك ! على علم السائل أنه لم يَقُل ، فمجاز ما يقع من هذا تقريراً لا استفهاماً في مدح أو ذم مجاز قول جرير :

ألستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأندى العالَمينَ بُطونَ راح

وقد يستخدمه بمفهوم لا يختلف كثيرا عن المفهوم الذي عبَّر به أبو عبيدة وابن قتيبة من قبل إذ استُخدم عندهما وسيلة تعين على فهم آي الكتاب وإدراك معانيه ، أو ما يراد بالأساليب التي لا يدل ظاهر معناها على ما يراد منها . كما استخدمه بمعنى طرق التعبير عن أسلوب القران في الحذف إذا دل عليه دليل ، يقول : " وفي القرآن مختصرات ؛ فإن مجاز كلام العرب يحذف كثيراً من الكلام إذا كان فيما يبقَى دليل على ما يُلقَى ؛ فمن ذلك : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا ﴾ (يوسف:٨٢) لما كانت القرية والعير لا يُسألان ولا يجيبان ؛ علم أن المطلوب

غيرهما." وأطلق لفظ التحويل فيما أطلق عليه المتأخرون مصطلح القلب [١] وبحثوها في باب ما خرج من الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وذلك في قوله : " ومما في القرآن مما يجيء مثله في كلام العرب من التحويل ، كقوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ (القصص:٧٦) وإنما العُصبة تنوء بالمفاتح ... " وليس ما قاله عن مفهوم التحويل في الآية متفقاً عليه ؛ فقد ذكروا أن الفعل (تنوء) من الأضداد لأن معناه تثقل ، يقال : ناء به الحمل إذا أثقله فسقط ، وقيل معناه : تنهض بجهد ومشقة ؛ يقال : ناء بالحمل إذا نهض به بجهد ومشقة ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها : أي تثقلها . وهي تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله : أي تنهض بها مثقلة . وتساءلوا في الآية : هل تنوء المفاتح بالعصبة ، أم العصبة هي التي تنوء بالمفاتح ؟ وتنبهوا إلى ما في المعنى الثاني من تحويل الفعل إلى المفاتح على سبيل القلب . وذكر الطبري [٢] أن المعنى الأول في تأويل الآية أولى بالصواب ؛ لأنه تأويل موافق لظاهر التنزيل ، ولما فيه من الدلالة على كثرة كنوز قارون ؛ وذلك إذا وجه إلى أن معناه إن مفاتحه تثقل العصبة وتميلها ؛ لأنه قد تنهض العصبة بالقليل من المفاتح وبالكثير ." كما أطلق لفظ (المزج) على ما سمي عند البلاغيين بالمشاكلة ويسمى عندهم أيضاً بالمزاوجة .

---

(١) انظر عن (**القلب**) في الإيضاح في علوم البلاغة ١/ ٧٩ . وذكره السيوطي في أمثلة (قلب الإسناد). الإتقان في علوم القرآن ١٠٣/٢ وكذلك ذكره الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٢٨٨/٣ وقال : بأن يشمل الإسناد إلى شيء والمراد غيره كما في الآية ، إن لم تجعل الباء للتعدية لأن ظاهره أن المفاتح تنوء بالعصبة ، ومعناه أن العصبة تنوء بالمفاتح لثقلها فأسند لتنوء إلى المفاتح والمراد إسناده إلى العصبة .. وقيل لا قلب فيه والمراد : أن المفاتح تنوء بالعصبة أي تميلها للسقوط من ثقلها . وقال الفراء ليس هذا بمقلوب إنما معناه ما إن مفاتحه لتنيء العصبة أي تميلهم بثقلها .

(٢) تفسير الطبري ١٠٨/٢٠ .

كما تناول المبرد بعض القضايا النحوية ، يوضح بها ما في بعض ما ساقه من الشواهد من إشكال ، على نحو ما ذكره لتخريج دلالة الظن في قوله تعالى :﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ (الجاثية:٣٢). فذكر أن للنحويين قولان ، ووضح تقدير الآية في كل قول ، وخلص إلى أن كلا القولين حسن ، ونبَّه ، في الوقت نفسه ، أن أكثر التفسير على الأول

ولعل أهم ما تناوله المبرد في هذا الكتاب ، وجعله عنوان كتابه ، هو **ظاهرة المشترك اللفظي** ، ويدرس حديثاً في ميدان الدراسات اللغوية ضمن مباحث علم الدلالة البنيوي ، وفي إطار نظرية العلاقات الدلالية ؛ ويُعنى بهذه الظاهرة مجموعة الكلمات المتشابهة في النطق والكتابة والمختلفة في الدلالة ، أو اللفظ الواحد ، الدال على معنيين مختلفين فأكثر . ويفهم من هذه الظاهرة أن اللغة العربية لا تستخدم لكل معنى كلمة مستقلة لا تتعداها ، بل قد تستخدم الكلمة الواحدة لأكثر من دلالة ، فمن ذلك أن الفعل (ضرب) ـ على سبيل المثال ـ له في المعجم معان مختلفة ، منها :

(١) عاقب : ضرب زيد عمْراً (٢) ذكر : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً)
(٣) أقام : ضرب له قبة . (٤) صاغ : ضرب العملة .
(٥) حدَّد : ضرب له موعداً . (٦) سعى : ضرب في الأرض .[١]

فالفعل (ضرب) تحتمل هذه المعاني وغيرها ، ولا تختص بواحدة منها إلا في سياقه اللغوي . ومنه أن لفظ (الخال) هو أخو الأم ، ويطلق على من توسمت فيه الخير ، ويطلق على السحاب الذي يرجى منه المطر ، وعلى الشامة تكون في الخد ، وعلى لواء الجيش .. ومثله لفظ (إنسان) فهو يطلق على الواحد من بني آدم ، وعلى ناظر العين ، وعلى الأنملة ، وعلى حد السيف ، وعلى السهم .[٢]

كما أن (**ظاهرة التضاد**) نوع خاص من أنواع الاشتراك اللفظي ؛ بأن يطلق اللفظ على المعنى وضده ، أو أن يؤدي اللفظ الواحد دلالتين متضادتين ، ومن أمثلته: لفظ (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود ، ولفظ (الجلل) يطلق على الشيء الجليل في قولك : هذا مصاب جلل ، ويطلق على الشيء الحقير في قولك: كل مصيبة تخطأتك جلل . ولفظ (البين) بمعنى الفراق والوصل ، ولفظ (

(١) تمام حسان : اللغة العربية ، ص : ٣٢٤ .
(٢) على عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص : ١٨٩ .

المسجور) الذي يطلق على المملوء والفارغ [١]..

وقد اهتم علماء العربية بهذه الظاهرة ؛ فجمعوا الكلمات المتضادة في القرآن الكريم والحديث النبوي وفي لغة العرب ، وممن أفرد لها مصنفاً : قطرب (ت٢٠٦هـ) و الأصمعي (ت٢١٦هـ) [٢] وابن السكيت ت٢٤٤هـ [٣] وأبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥) وابن الأنباري (ت ٣٢٧هـ) ويعدُّ ما صنفه من أهم كتب الأضداد وأكبرها ، وأبو الطيب اللغوي (ت٣٥١) وابن الدهان النحوي (ت ٥٦٩)والصاغاني (ت ٦٥٠). وليس من اختلاف كبير في مجموعة الألفاظ التي عالجها كل من هؤلاء العلماء . وذكر بعضهم أن مجموعة الألفاظ التي تمت معالجتها في مؤلفاتهم مجتمعة لو غربلت وبحثت بحثاً علمياً صحيحاً لانتهى الأمر على أن ما يصح أن يسمى منها بالأضداد لا يكاد يعدو عشرين كلمة .[٤] ولا شك أن التضاد الذي عناه أنيس هو أن يعبر اللفظ الواحد عن معنيين متباينين كل التباين فلا نلمح أية صلة بين المعنيين كما في لفظ (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود ونحوه .

وفي مقابل هذا العدد الكبير الذي ألف في ظاهرة التضاد لا نجد فيما ألف عن ظاهرة المشترك اللفظي غير كتاب المبرد (ما اتفق لفظه واختلف معناه) وكتاب (الجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى) لأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ) وكتاب اتفاق المباني وافتراق المعاني للدقيقي النحوي (٦١٤هـ) صدَّره بما جاء في أول كتاب المبرد (ما اتفق لفظه). والعلماء وإن لم يفردوا لهذه الظاهرة مصنفات كثيرة ؛ غير أنهم تناولوها ضمن مباحث مصنفاتهم اللغوية على نحو ما جاء في كتاب الخصائص لابن جني والمزهر للسيوطي ونحوهما .

نص الكتاب

قال المبرِّد :

هذه حروف ألّفناها من كتاب الله عز وجل ، متفقة الألفاظ ، مختلفة المعاني

(١) وافي : فقه اللغة ، ص : ١٩٢ .

(٢) نشره هفنر كتابه في مجموعة بعنوان ثلاثة كتب في الأضداد بيروت ١٩١٣ بجانب كتاب الأضداد لابن السكيت ، وبين الكتابين اتفاق كبير ، والراجح أن ما ينسب إلى الأصمعي ليس إلا رواية أخرى لكتاب ابن السكيت (راجع عبد التواب : فصول في فقه العربية ٢٣٨)

(٣) نشر كفلر كتابه في مجلة إسلاميكا ١٩٣٢

(٤) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ص ٢١٥

، متقاربة في القول ، مختلفة في الخبر ، على ما يوجد في كلام العرب ؛ لأنَّ من كلامهم اختلافَ اللفظين واخْتلاف المَعْنَيَيْن ، واختلافَ اللفظين والمعنى واحدٌ ، واتفاقَ اللفظين واختلاف المعنيين .(١)

فأما اختلافُ اللّفظين لاخْتلاف المعنيين فنحو قولك : ذَهَبت ، وجاء ، وقام، وقعد ، ويَدٌ ، ورجل ، وفرس .

وأما اختلافُ اللّفظين والمعنى واحد فقولك : ظَنَنت ، وحسبْت ، وقعَدت ، وجلست ، وذرَاع ، وسَاعد ، وأنف ، ومَرْسِن .

وأما اتّفَاقُ اللفظين واختلافُ المعنيين فنحو : وَجَدت شيئاً إذا أردتَ وجْدانَ الضَّالة ، ووجَدْتُ على الرجل من المَوْجِدَة ، ووجدْتُ زيداً كريماً : علمت . وكذلك : ضربتُ زيداً ، وضربت مثَلاً ، وضربت في الأرض : إذا أبعدت . ومن ذلك عينٌ للتي يُبْصَر بها ، وتقول : هذا عين الشيء أي حقيقته ، والعينُ : المال الحاضر ، والعينُ : عينُ الميزان ، والعينُ : سحابة تأتي من قِبَل القبلة ، وعينُ الماء . وهذا كثير جداً .(٢)

وقولهم : أمرٌ جَلَلٌ ، كقوله :[الرمل]

كلُّ شَيءٍ ما خلا اللهَ جَلَل(٣) ... [والفتَى يسعَى ويُلهيه الأمل]

أي صغير . وقال لبيد (٤) :[الرمل]

وأرى أرْبَدَ قد فارقني ومن الرُزءِ كثيرٌ وجَلَلْ

ويكون للتعظيم ، كقول جميل : [خفيف]

رَسمِ دارٍ وقفتُ في طَلَلهْ كِدتُ أقضِي الحياةَ من جَلَلِه (٥)

أي من عِظَمِه في عيني .

ومن ذلك الجَون : الأسودُ (٦)، وهو الأكثر ، قال الراجز :

---

(١) في كتاب : **المزهر في علوم اللغة والأدب** ١/ ٣٠٥ : نقل أول كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) للمبرد ، وأحاله إليه ، مع تصرف طفيف [م]

(٢) راجع عن معاني العين : لسان العرب ، وتاج العروس ومعجم الأدباء ١١/٢ . [م]

(٣) نسب للبيد في أضداد الأصمعي ٩ وابن الأنباري ٣ ، وعندهما : ما خلا الموت .. ولكن لا يوجد في ديوانه

(٤) في تتمة ديوانه ١٧ وأضداد الأصمعي ٨٤ والكامل للمبرد ٤٢/١:" ومن الأرزاء رزء ذو جلل " ومعناه : ذو عظم ، فلا استشهاد للمصنف على هذه الرواية إلا على المعنى الثاني .(بتصرف)

(٥) انظره في أضداد ابن السكيت ١٦٨ ومثله عند الأصمعي ١٠ ولفظه : أي من أجله ، قال الأصمعي : من عِظَمه في صدري. والقولان مقدماً ومؤخراً في أضداد السجستاني ٨٤ . (بتصرف)

(٦) وفي المزهر ٣٠٦/١ : والجون للأسود والأبيض ، وهو في الأسود أكثر .[م]

فغَلَّستْ واللَيلُ جَونٌ حالكُ .[١]

وقال عمرو بن شأسٍ الأسدي :[الطويل]

وإنَّ عِراراً إن يكن غير واضحٍ — فإني أحِبُّ الجونَ ذا المَنْكِب العَمَم (٢)

والجون : الأبيض ؛ كقول الراجز :

غَيَّر يا بنتَ الجُنَيد لوني — كَرُّ الليالي واختلافُ الجون (٣)

ويروى : الحُلَيس . قال : وحدثني التَّوَّزي [٤] عن الأصمعي قال : عُرِضتْ على الحجاج دروع ، فقال : نَحُّوها فإن الشمس جونة . ومن ذلك : المُقْوي للقويّ والضعيف . قال الله تعالى ﴿ وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ (الواقعة : ٧٣) أي الضعفاء ، تقول العرب : اكثِرْ من فلان فإنه مُقْوٍ ، أي ذو إبل قوية .

ومن ذلك الرجاء ، يكون في معنى الخوف . قال أبو ذؤيب :[الطويل]

إذا لَسَعَتْه النحلُ لم يرجُ لَسعَها — وخالفها في بيتِ نُوبٍ غوافل[٥]

وقال الأنصاري : [٦][الطويل]

لَعَمْرُكَ ما أرجو إذا مُتُّ مؤمناً — علَى أيِّ جَنْبٍ كانَ لله مَصْرَعِي

وقال المفسرون في قوله تعالى :﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (نوح:١٣) أي لا تخافون لله عظمة . وكلُّ مَنْ آثَرَ أن يقول ما يحتمل معنيين ؛ فواجب عليه أن يضع على ما يقصد له دليلاً ؛ لأن الكلام وُضع للفائدة والبيان .

---

(١) غلست : أي سارت في الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) انظره في ديوان الحماسة ٩٩/١ والكامل١٦٠/١ وأمالي القالي ١٩١/٢ وطبقات الشعراء للجمحي ٤٦

(٣) انظره في شرح الشافية ٣٤٩/٢ ، وفي أمالي القالي ١٠/١ وأضداد الأصمعي ٣٦ .[م]

(٤) التوزي : (ت ٢٣٣هـ) من شيوخ المبرد . وفي: أمالي القالي ١٠/١ قال الأصمعي : عُرِض على الحجاج بن يوسف درعُ حديد وكانت صافية، فجعل الحجاج لا يرى صفاها، فقال له رجل : إن الشَّمس جونة أي شديدة الضوء قد غلب ضوؤها بياض الدرع . [م]

(٥) يقول إذا لسعت النحل هذا المشتار (جامع العسل) لم يخف لسعها ولم يبال بها ولازمها في بيتها حتى يأخذ عسلها ، ومعنى لم يرج لم يخف ، والنوب : النحل . وخالفها جاء إلى عسلها من وراء النحل لما سرحت في المراعي ، ويروى حالفها أي صار حليفها في بيتها. ويروى في : جمهرة أشعار العرب ٢٠/١ بيت نوب عواسل ، وفي خزانة الأدب ٥/ ٤٦٩ : نوب عوامل . [م]

(٦) خُبَيب بن عديّ : انظر السيرة النبوية ١٣٠/٤ وروايته : فوالله ما أرجو إذا مُتُّ مسلماً .. في الله الخ . قال ابن هشام : وبعض أهل العلم ينكرها له . قلت : ولكن البخاري رواه في صحيحه١١٠٨/٣: ولست أبالي حين أُقتل مسلماً....البيت ،وفي عمدة القاري ٢٩٠/١٤: ما أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً علَى أيِّ شِقٍّ كانَ لله مَصْرَعِي . وفي أضداد ابن الأنباري أنه لعُبيدة بن الحارث الهاشمي. (بتصرف) .

فمما اتفق لفظه واختلف معناه قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة : ٧٨) هذا لمن شكَّ . ثم قال [١] : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ (البقرة:٤٦) فهذا يقين ؛ لأنهم لو لم يكونوا مستيقنين لكانوا ضُلالاً شُكَّاكاً في توحيد الله تعالى . ومثله في اليقين قول المؤمن : ﴿ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ (الحاقة:٢٠) أي أيقنت . ومثله قوله تعالى : ﴿ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَٰقِعُوهَا ﴾ (الكهف : ٥٣) أي أيقنوا .

ومما جاء في كلام العرب في الظن الذي هو يقين قول دُريد بن الصِمَّة:[الطويل]

فقلتُ لهم ظُنُّوا بألفي مُقاتِل سَراتُهمُ في الفارسيِّ المُسَرَّدِ [٢]

أي : أيقنوا ؛ ولذلك قال : بألفَي مُقاتِل ، لأنه خوّفهم لحاقَ جيش غطفان إياهم .

وقوله تعالى : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ (الجاثية:٣٢) فهو من الشك . وللنحويين فيه قولان ؛ أحدهما : أن تكون (إلا) في غير موضعها فيكون التقدير : إن نحن إلا نظنُّ ظناً ؛ لأن المصدر إذا وقع بعد فعله مستثنىً لم تكن فيه فائدة ، إلا أن يكون موصوفاً أو زائداً على ما للفعل . ولو قال قائل : ما ضربتُ إلا ضرباً ، لم يُفد بقوله ضرباً معنى لم يكن في ضربت ، فمن قال (إلا) في غير موضعها فهو مثل : ليس الطيب إلا المسكُ مرفوعاً . ولا وجه لهذا إلا على تقديم (إلا) ليكون المعنى : ليس إلا الطيبُ المسكُ ؛ ليتحقق أن أصح الأشياء أن الطيب المسك ،[٣] قال الأعشى :[المتقارب]

أحَلَّ به الشيبُ أثقالَه وما اغترَّه الشيبُ إلا غِرارا [٤]

وقوم يقولون : معناه : إن نظن إلا منكم أيها الداعون لنا نظن أن الذي تدعوننا إليه ظنٌّ منكم ، وما نحن بمستيقنين أنكم على يقين . [٥] وكلا القولين حسن . وأكثر التفسير على الأول . وقالوا في قوله : وما اغترَّه الشيبُ إلا غرارا ؛ أي : إلا

(١) موقع الآية بعد قوله : (ثم قال) قبل التي سبق ذكرها كما تشير أرقامهما. [م]
(٢) انظره في : ديوان الحماسة ٣٣٧/١وجمهرة الأشعار ١٨٠/١ ويروى : بألفي مدجج . [م]
(٣) هذا القول نقل في البحر المحيط لأبي حيان ٥١/٨ وفتح البيان ٣٤١/٨ عن المبرد كما هنا. وقال أبو حيان : " ولم يعرف المبرد أنَّ (ليس) في مثل هذا التركيب عاملتها بنو تميم معاملة (ما) فلم يُعملوها إلا باقية مكانها ، و (ليس) غير عاملة ..." . وفي ذلك حكاية جرت بين عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء مذكورة في أمالي القالي ٣٩/٣ والأشباه ٢٤/٣. (بتصرف)
(٤) في الخزانة : أحل له الشيب .... إلا اغتراراً . وإلا غراراً مصدر من غير لفظ اغترَّه ، أي : مُغارّة.
(٥) في الأصل : إن نظن إلا منكم أيها الداعون لنا تظنون أن الذي تدعو إليه ظنٌّ منكم .

لاغتراره ، ونصبه للمصدر الذي هو مضاف إليه ، والفعل للشيب . كما أن (نظن) ناصبة للمصدر المضاف إلى ما يخاطبونه .

وقوله تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة :٢٨٦) لمعنى واحد ؛ كقولك : نظرته وانتظرته ، وقدرت عليه واقتدرت عليه ، وحفظت واحتفظت ، وجرح واجترح من الكسب ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ (المائدة : ٤) أي : الكواسب ، ويقال : فلان جارحُ أهلِه ، أي : كاسبهم ، وفلوتُ الفَلُوَّ وافتليته عن أمِّه . قال الأعشى : [1][الخفيف]

مُلمعٍ لاعَةِ الفُؤادِ إلى جَحـ شٍ فَلاهُ عَنها فَبِئسَ الفالي [2]

ويقال رجل هاعٌ لاعٌ ، وامرأة لاعة ، إذا كانت مضطربة الفؤاد على نهاية الهلع ، وإنما وصف بهذا أتاناً ، ومثله : سرقه واسترقه ، و﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ ﴾ (البقرة : ٢٠) في معنى: يختطف .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة : ١٩٤) المعنى : فاقتصُّوا منه ؛ يُمزَج اللفظ كلفظ ما قبله ، كقول العرب : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء . وتقول : فعلت بفلان مثل ما فعل بي ، أي : اقتصصت منه ، والأول بدأ ظالماً ، والمُكافِئ إنما أخذ حقَّه ، فالفعلان متساويان ، والمخرجان متباينان ؛ إذ كان الأول ظالماً ، والثاني إنما أخذ حقه . ومثله :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى : ٤٠) والثانية ليست بسيئةٍ تُكتب على صاحبها ، ولكنها مثلها في المكروه ؛ لأن بالثاني يقتصُّ . ومثله :﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة:١٤-١٥) وقال : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (التوبة: ٧٩) وقال :

---

(١) جمهرة أشعار العرب١٠٤/١ ، والكامل ٦٧/١ ، و المزهر في علوم اللغة والأدب٤٦٧/١ وفيه : ويقال : لاعَةٌ فعلة ، ومذكرها لاع . وفي الحديث : (هَاع لاع) مبنية من شدة تأثير الحُزن في القلب فكأنه مأخوذ من اللَّوْعة وقيل : بل لاعة بوزن فاعلةكأن الأصل لاعية من اللعو وهو أشد الحرْص. [م]

(٢) في المخصص : ناقةٌ مُلمِع إذا رَفَعت ذَنَبها فعُلِم أنَّها لَقِحت ، وكذلك إذا تحَّرك ولدُها في بَطْنها ، وأتَانٌ مُلمِع مثلهُ .. وفي تاج العروس : قالَ الأَصْمَعِيُّ : إذا اسْتَبانَ حَمْلُ الأتَان وصارَ في ضَرْعِها لُمَعُ سَوَادٍ فهيَ مُلمِع . وفلاه : فطمه ، أي : عَزَلَه عن الرَّضاع وفصَلَه .[م]

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ (الأنفال : ٣٠) لِما ذكرتُ من أوجُه الكلام ؛ وإنما مكرهم واستهزاؤهم وسُخرهم معصية لله تعالى ، وتوثُّبٌ على أوليائه ، ومكر الله واستهزاؤه وسخره عذاب لهم وتنكيل ، قال عمرو بن كلثوم :[الوافر]

ألا لا يَجهَلَن أحَدٌ عَلَينا فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجاهِلِينا

لم يمتدح بأنه جاهل ؛ إنما قصد المكافأة والشرف في قوله : فَوقَ جَهلِ الجاهِلِينا .
وقال الفرزدق : [الكامل]

أحلامُنا تَزنُ الجِبالَ رَزانَةً وَتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجهَلُ (١)

أي إذا جُهل علينا فكافأنا به لم نعجز عن الجهل ، وأما قوله :(٢) [الطويل]

وَأنزَلَني طولُ النَوى دارَ غُربَةٍ إذا شِئتُ صاحَبتُ أمرأً لا أشاكِلُه
فحامقتُهُ حَتّى يُقالَ سَجِيَّةٌ وَلَو كنتُ ذا عَقلٍ لكُنتُ أعاقِلُه

فليس من هذا مخرجه ، وهذا قاصد إلى مواتاة الأحمق . وقد قال النبي ﷺ : (من كان له صبيٌّ فليتصَبَّ له) (٣) أي فليكلمه بكلام الصبيان ، ويفعل معه أفعاله مع الناس بالمقاربة . وقالوا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ (الأنعام : ٩) مجازه ما ذكرنا لأن الرجل إلى مثله أسكنُ ، وبشكله آنسُ . قال أبو الأسود الدؤلي :[الطويل]

إذا قُلتُ أنصِفني وَلا تَظلِمَنَّني رَمى كُلَّ حَقٍّ أدَّعيه بباطِلِ
فَباطَلتُهُ حَتّى ارعَوى وَهوَ كارِهٌ وَقَد يَرعَوي ذو الشَغبِ يومَ التَجادُلِ
(٤)

وقول الله تعالى عند ذكر الغيث ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٢) وقال :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ (الحج:٦٣) ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم

(١) في الأصل : إذا لم نجهل ، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا .
(٢) ينسب للشافعي ، وفي البيان والتبيين ١٣٥/١ لاقيت امرأ . و ولو كان ذا عقل . [م]
(٣) الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه من حديث أبي سفيان القتبي عن معاوية ؛ وقال ابن عساكر : غريب جدا. عن فيض القدير ٦ / ٢٧١ .. وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة١٠ / ١٤٢ .. [م]
(٤) روايته في الديوان المنشور بمجلة المستشرقين بفينا ج ٢٧ ص ٣٧٥-٣٩٧ سنة ١٩١٣هـ : رمى كل حق من سواه ... بعد التجادل (بتصرف).

مِّدۡرَارٗا ﴾ (الأنعام : ٦) و﴿ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ ﴾ (الواقعة:٦٩) ، ثم ذكر المطر فقال : ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ (الحجر:٧٤) و﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ ﴾ (الأعراف:٨٤) وقال :﴿ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنفال:٣٢) فلم يذكر المطر إلا عذاباً . فالإمطار إنزال ؛ ولو أريد به الغيث لصلح . وقد تصلح اللفظة لشيئين فتستعمل في أحدهما لأنها له كما للآخر فلا نقص في ذلك ولا تقصير ، ولو ذُكرت في غيره مما هي له لكان ذلك محلّها ؛ قال جرير :[البسيط]

إنّا لنَرجو إذا ما الغَيثُ أخلَفَنا مِنَ الخَليفةِ ما يُرجَى مِنَ المَطَرِ (١)

يعني به الذي هو غيث . وقال : (٢) [الكامل]

ظَعنَ الخليط وبَشَّرَت في إثرهم ريحٌ يَمانِيَةَ بيَومٍ ماطِرِ

وقال : [البسيط]

يَرجونَ مِنكَ إذا ما الغيثُ أخلفَهم سجلاً وتُمطِرُهم مِن كفّك الدِيَمُ(٣)

وهذا كثير في كلامهم كما جاء في ذكر الغيث :﴿ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ ﴾ الآية (قّ : ٩) فلم يكن الإنزال مخصوصاً به الغيث دون غيره ، ولكن يكون له كما يكون لغيره . ألا تراه تعالى لما ذكر العذاب فأجراه فيه فقال :﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ (البقرة:٥٩) فهذا ما ذكرنا أن لفظه مشترك فيه معنيان يختص به أحدهما في الموضع. وقوله تعالى عند ذكر السحاب الغيث (؟) : ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ (الحجر:٢٢)وقال :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ (الروم:٤٨) وقال عند ذكر العذاب :﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾ (الحاقة:٦) وقال : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ [أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ] ﴾ (آل عمران:١١٧) وقال :﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا ﴾

(١) لا يوجد في ديوانه ، بل يوجد في ضمن الشذرات الملحقة بآخره ١٧٦/٢ . وفيه : ما نرجو ..
(٢) في ديوانه : نُشِرَت عَلَيكَ فَبَشَّرَت بَعدَ البلى .[م]
(٣) ويروي : يَرجونَ مِنكَ وَلا يَخشَونَ مَظلِمَةً عُرفاً وَتُمطِرُ مِن مَعروفِكَ الدِيَمُ [م]

(الروم:٥١) و ﴿ [وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ]الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ (الذاريات:٤١)

فليس هذا من قوله تعالى : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (يونس:٢٢) هذا الذي ذكرنا مما هو للغيث أو العذاب . ولأهل العناية فيه قولان : قال بعضهم : لا تلقح السحاب بريح واحدة ، ولكن تبدأ ريح وتقابلها أخرى ، وكذا إن جرت ثلاث من الرياح .كان رسول الله ﷺ يقول إذا هبت الريح : (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً)[١] وقال هؤلاء : قوله الرياح لريحين فأكثر كقوله : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (النساء:١١) يعني أخوين فصاعداً ، وكقوله : ([وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ] تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ) (صّ:٢١ -٢٢) ثم أبان عن العدد بقوله : (إِنَّ هَذَا أَخِي)(صّ: ٢٣) وهذا كقول الإنسان إذا كان معه آخر : نحن جعلنا ، كما يقول إذا كانوا جماعة ، واحتجوا بقول جميل :[الطويل][٢]

سبيحان (؟) مرفضّاً من الماء صاديا   إذا ما نسيم من نداها عراهما
إذا ما الصبا حارتهما سرباتها (؟)   ودانى دُنوّاً وارجحنَّت رحاهما

وقال آخرون : بل يستقيم أن يقال الرياح لريح واحدة من الرياح الأربع[٣] ونكباواتها إذا كان يهبُّ منها شيء بعد شيء ؛ فإن كل جزء منها يسمَّى ريحاً ، وهذه المتابعة تستنزل الغيث، واحتجوا بأنها إحدى الأرواح بقول أبي ذؤيب :[المتقارب]

مَرَتْه النُّعامَى ولم يعترف   خِلافَ النُّعامَى من الشأم ريحا[٤]

وقال آخر يمدح رجلاً:

---

(١) الحديث رواه ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ إذا ثارت ريح استقبلها وجثا على ركبتيه ، وقال : اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ، اللهم اجعلها رحمة ، ولا تجعلها عذاباً " انظر : مسند الشافعي ٨١/١ وكنز العمال ٣٠/٧ ومسند أبي يعلى ٣٤١/٤ [م]

(٢) لم نجد البيتين في موضع آخر مع طول التنقيب .

(٣) في صبح الأعشى ١٨٥/٢ (مع التصرف) : أصول الرياح أربعة : الأولى **الصبا** وهي التي تأتي من المشرق وتسمى القبول أيضا ، وأهل مصر يسمونها الشرقية. الثانية **الدبور** ومهبها من مغرب الشمس ، وتسمى الغربية . وقلما يكون بالدبور المطر، ويكون فيها الرهج والغبرة ، فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع. الثالثة **الشمال** ، وتسمى البحرية. الرابعة **الجنوبية** ، وهي أردأ الرياح عند أهل مصر . .وانظر أيضاً في : الكامل ٥٦/٢.[م]

(٤) البيت في االكامل للمبرد ٥٦/٢ وفيه : فلم يعترف . والنعامى : الجنوب .(بتصرف)

فتًى خُلِقت أخلاقُه مطمئنَّةً له نَفْحاتٌ ريحهن جَنوبُ (١)

يريد أن الغيث إنما تأتي به الجنوب . واحتجوا في تسمية كل جزء من الريح بقول العرب : بعيرٌ ذو عثانين ؛ جعلوا كل خُصلة عُثنوناً ، ويقولون : شابت مَفارقُه ؛ يجعلون كل جزء من رأسه مَفرِقاً . قال جرير :[الكامل]

قالَ العَواذِلُ ما لِجَهلِكَ بَعدَما شابَ المَفارقُ وَاكتَسَينَ قتيرا

ولم يرووا أن الاجتياح كان قطّ إلا بريح واحدة . روي عن النبي ﷺ أنه قال : « نُصِرْتُ بالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بالدَّبُور ».(٢)

ومما جاء متفق اللفظ مختلف المعنى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (الرحمن:٣٩) ومثله : ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ﴾ الآية (المرسلات:٣٥) . ثم قال : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾ (الصافات:٢٤) فليس هذا ناقضاً للخبر الأول ، تعالى عن ذلك . وكان مجاز قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ) أي لا يُسأل عن ذنبه ليُعلَم ذلك من قِبَله ، والدليل عليه قوله : ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ﴾ (الرحمن:٤١) وقوله : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ﴾ يقول موبَّخون ؛كما يقول المعاقِب للمعاقَب : ألستَ الفاعلَ كذا ، أتذكر يوم كذا ما فعلتَ كذا ! ليس ليُعلَمَ ذلك من قِبَلِه ، ولكن لتوبيخه بما فعل . وقد يقال لغير صاحب الذنب احتجاجاً على الذنب ، وتوبيخاً له : أما قال لك هذا ذنب وذنب ! أما تعرف من هذا مثل ما أعرف ! أأنت قلت لهذا ما ذكره عنك ! على علم السائل أنه لم يَقُل ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ [اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ] الآية ﴾ (المائدة: ١١٦) ليوبخ بذلك من حكاه عنه ، فمجاز ما يقع من هذا تقريراً لا استفهاماً في مدح أو ذم مجاز قول جرير :[الوافر]

أَلستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأندى العالَمينَ بُطونَ راح

وكقول كُثَيِّر :[الطويل]

---

(١) البيت في الكامل للمبرد ٥٦/٢ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، ١ / ٣٥٠ . وأخرجه مسلم ٦١٧/٢ في صلاة الاستسقاء باب في ريح الصبا والدبور. [م]

أليسَ أبي بالنَّضْرِ أم ليس والِدِي   لكلِّ نَجيبٍ من قُضاعة أزْهَرَا [1]

وقال الله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر: ٣٦) ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٨)

وقوله : ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ (النساء : ٧٨) أي : يأتي هذا إذا شاء ، وهذا إذا شاء . ثم قال : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ تفضُّلاً وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ (النساء: ٧٩) أي مجازاةً بما فعلتَ ؛ كقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى:٣٠) ولو كان من الطاعة والمعصية لكان حق الكلام : ما أصبت من حسنة ، وما أصبت من سيئة ؛ ومن هذا قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ ﴾ الآية (مريم:٨٣) وقال : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ ﴾ (نوح:١) ثم قال : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ (المؤمنون:٤٤) وقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات:١٨١) فليس لقائل أن يقول من أهل القبلة أن الشياطين دخلوا في هذا الإرسال ، ولا أن قوله : ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (مريم:٨٣) كقوله : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً ﴾ ولكن مجاز قوله : ﴿ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أي خلَّينا بينهم وبينهم ؛ كقول القائل : أرسلت حمارك على زرعي ، أي لم تحْبِسه ، فسمي التخلية بالإرسال ، كقوله : [2][الوافر]

---

(١) البيت أنشده سيبويه ١٧٤/٣ وروايته من خزاعة أزهرا ، كما في خزانة الأدب ٢١٨/٥.
وفي الأغاني٩ / ١١ : أليس أبي بالنَّضْرِ أم ليس إخوتي ... بكلِّ هِجَانٍ من بني الصَّلْت أزْهَرَا [م]

(٢) هو لبيد بن ربيعة ، ويروى: فَأَورَدَها . والإرسال بمعنى التخلية والإطلاق . وقوله : فأرسلها أي الحمار أُتُنَه ، ولم يذدها أي يطردها . والنغص مصدر نغِص الرجل ينغص نغصاً إذا لم يتم مراده ، وكذلك البعير إذا لم يتمّ شربه . يريد أن بعضها يزحم بعضاً حتى لا يقدر أن يتحرك لشدة الازدحام ولا يقدر أن يشرب . والدّخال أن يداخل بعير قد شرب مرة في الإبل التي لم تشرب حتى يشرب معها إذا كان كريماً أو شديد العطش أو ضعيفاً .انظر : خزانة الأدب ١٨٣/٣ .[م]

فأرْسَلَها العِراكَ ولم يَذُدْها ولم يُشْفِقْ على نَغَصِ الدّخالِ

هذا لم يرسل الحمير لتعترك ، ولكنه لم يحبسها . وكذلك قولهم : أرسلتَ الأمرَ من يديك ، إنما هو لم تلزمه . وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦) وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً ﴾ (آل عمران: ١٧٨) مجازه : مصيرهم إلى ذا ؛ كقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً ﴾ (القصص:٨) وهم لا يلتقطون مقدرين فيه أن يُعاديهم ويحزنهم ، ولكن تقديره : فالتقطه آل فرعون فكان مصيره إلى عداوتهم وحَزَنهم ، ومثله [1]:[البسيط]

[أموالُنا لِذَوي المِيراثِ نَجمَعُها] ودُورُنا لِخَرَابِ الدَّهرِ نَبنيها

أي إلى هذا تصير .. ومثل قول ابن الزبَعْرَى : [2] [المتقارب]

لا يُبعِدُ اللهُ رَبُّ العِبا دِ وَالمِلحُ ما وَلَدت خالِدَه

هُمُ يُطعِنونَ صُدورَ الكُما ةِ وَالخَيلُ تَطرُدُ أو طاردَه

فإن يَكُنِ المَوتُ أفنَاهُمُ فَلِلمَوتِ ما تَلِدُ الوالِدَه

أي إن هذا مصيرهم .

ومما جاء في القرآن على هيئتين في الاستفهام ، فوقع مع أحدهما التبيين ، ولم يقع على الآخر ؛ على أن يخرج الاستفهام فيهما جميعاً مخرج التقرير والتعظيم قوله تعالى : (وَمَا أدْرَاكَ) ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ)[3] . مما كان من قوله ﴿ يُدْرِيكَ) بغير مبيِّن ما هو في القرآن . وأكثر ما جاء في قوله : ﴿وَمَا أدْرَاكَ مَا هِيَهْ) ـ ثم قال ـ ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌ) (القارعة:١٠-١١) وقال : ﴿ وَمَا أدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ـ ثم قال ـ ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ﴾ (الانفطار:١٨-١٩) وقال : ﴿ وَمَا أدْرَاكَ مَا

(١) البيت لسابق بن عبد الله البربري (- ١٣٢هـ) أحد شعراء الزهد في العصر الأموي ، من أهل خراسان .[م]

(٢) في الحيوان١ / ٣٩٧ : الملحُ شيئان: أحدهما المرَقة، والأخرى اللَّبَن.. وفي لسان العرب : يعني بالمِلح الرَّضاع . وفي خزانة الأدب ٥٣٣/٩: نسبت الأبيات لنهيكة بن الحارث المازني ، ولشتيم بن خويلد الفزاري ، وكلاهما جاهليان . [بتصرف]

(٣) في الشورى ، الآية ١٧ ، والآية ٦٣ الأحزاب ، والآية ٣ عبس.

القَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ الآية (القارعة:٣-٤) وقال : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ (الهمزة:٦) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ ... [١] الآية ، وقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ (المدثر:٢٧ ٢٨) ثم قال في الحاقة (الاية : ٣) : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ، ولم يقع بعد ذلك تفسير ، ومجاز هذا عند أهل النظر حذف الخبر لعلم المخاطب ؛ يريد تعظيم الأمر ، كقولك : لو رأيت فلاناً وفي يده السيف . أي : لرأيت بارعاً ؛ فاستغنى عن ذلك ، ويروى عن النبي ﷺ أنه استسقى على المنبر فسقى، فقال : يا أبا طالباه ! لو رأيتَ ابن أخيك إذ تقول :[الطويل]

وَأبيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بوَجهِهِ [ثِمالُ اليَتَامَى عِصمَةٌ لِلأرامِلِ][٢]

ولم يقل : لرأيت ما يسُرُّكَ . وفي القرآن : ﴿ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى - ثم قال - بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً ﴾ (الرعد:٣١) فخبره عند المفسرين " لكان هذا القرآن " وكان جوابَ قولهم : ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ (يونس:١٥) وعلى حذف الخبر [٣] كقول الراجز :

لَوْ قد حَدَاهُنَّ أبو الجُودِيِّ برجَزٍ مُسْحَنْفِرِ الرَّوِيِّ
مُسْتَويات كنَوَى البَرْنِيِّ

وقال : [المنسرح]

إنَّ مَحَلّاً وَإنَّ مُرتَحِلاً وَإنَّ في السَفرِ إذ مَضَوا مَهَلا

يريد : إنَّ لنا ؛ فحذف لعلم السامع . وكل شيء جاء في القرآن (وما يدريك) فغير

(١) والآيات التي جاء فيها قوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ ..) كثيرة منها : قوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)[الحاقة/٣] وقوله تعالى : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّين) [الإنفطار/١٧] وقال : وكل هذه المظان وقع فيها التفسير بعد (مَا أَدْرَاكَ)

(٢) الأبيض هنا بمعنى الكريم ، وقد كني به عن السرور والبشر . والثمال الملجأ والكافي ، والأرامل جمع أرملة وهي التي لا زوج لها . عن :خزانة الأدب ٦٠/٢ [م].

(٣) في كتابه المقتضب ٨١/٢ ذكر المبرد أن حذف الخبر معروف جيد ، واستدل على ذلك بهذه الآية ، وبقول الراجز ، وقال : لم يأت بخبر لعلم المخاطب ومثل هذا الكلام كثير ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوما بما يدل عليه من تقدم خبر أو مشاهدة حال . ولم يقل لأسرعن ولا لقطعن ونحو ذلك. [م]

مشروح خبره ؛ فمن ذلك : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً ﴾ (الأحزاب:٦٣) ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ (عبس:٣) . وأما قوله ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ﴾ (لقمان: ٣٤) فليس من هذا ؛ لأن (ما) ههنا نافية ، وما قبله كان استفهاماً .

وفي القرآن مختصرات ؛ فإن مجاز كلام العرب يحذف كثيراً من الكلام إذا كان فيما يبقى دليل على ما يُلقَى ؛ فمن ذلك : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ (يوسف:٨٢) لما كانت القرية والعير لا يُسألان ولا يجيبان ؛ علم أن المطلوب غيرهما . ولا يجوز على هذا : جاء زيد ، وأنت تريد غلام زيد ، لأن المجيء يكون له [أي للغلام] . ولا دليل في مثل هذا على المحذوف . ومثل الأول قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ (البقرة:١٧٧) أي : ولكن البارَّ من آمن بالله ؛ لأن البرَّ لا يكون البارّ ؛ نظيره للنابغة :[الطويل]

وَقد خِفتُ حَتّى ما تَزيدُ مَخافتي عَلى وَعِلٍ في ذي الفقارَةِ عاقِلِ (١)

أي على مخافة وَعِل . وعلى قول النابغة الجعدي :[المتقارب]

وَكيفَ تُواصِلُ مَن أصبَحَت خِلالَتُهُ كَأبي مَرحَبِ (٢)

وقال آخر :[الوافر]

كَأنَّ عَذِيرَهُم بجُنُوبِ سِلَّى نَعامٌ قاقَ في بَلَدٍ قِفارِ (٣)

أي عذير نعام . (كان المبرد ينشد سِلَّى بالفتح والكسر ، وهو موضع)(٤)

---

(١) ويروى : في ذي المُطارة ، قال ياقوت : هو جبل ، وذكر ابن الأعرابي : أنه عنى بذي المطارة : ناقته المطارة الفؤاد من النشاط ، ويعني بذي ما عليها من الرحل والأداة . وقال الأصمعي : يقول : قد خفت حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتي ، فلم يمكنه ؛ فقلب .والتقدير في: الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٧٣/١ حتى لا تزيد مخافتي على مخافة وعل ، وهو من المقلوب ؛ وتقديره : حتى لا تزيد مخافة وعل على مخافتي .وفي : كتاب سيبويه ٢١٢/١ : ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصار قوله تعالى جدّه: (واسأل القرية ..) إنّما يريد أهلَ القرية فاختصَرَ وعَمِلَ الفعلُ في القرية كما كان عاملاً في الأهْل لو كان ها هنا ومثله : (بل مكر الليل والنهار) وإنّما المعنى بل مَكْرُكُم في الليل والنهار ، وقال عزّ وجلّ :(ولكن البر من آمن بالله) وإنّما هو: ولكنّ البرَّ برُّ من آمن بالله . [م]

(٢) تواصُل : ههنا مصدر ، وليس على صيغة المخاطب : تواصِل . ويروى : وكيف تصادق .

(٣) نسبه سيبويه للنابغة الجعدي ٢١٤/١ وقال : العَذير الصوت ، إنما أريدَ عذير نعام ولكنّه حَذَفَ وأوصَلَ الفعلَ.

(٤) هذا من زيادة راوي هذا الكتاب عن أبي العباس كما هو الظاهر . و سِلَّى موضع بالبادية .

ومن المختصر في القرآن قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ ﴾ (البقرة:١٧١) معناه أن الذين كفروا يتشبهون بالمنعوق به ، وهي الشاء ؛ وأنتم كمن ينعق بها . فتأويل الكلام : مثل الذين كفروا ومثلكم ، أو مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ؛ فاختصر وحذف ، كقول النابغة الذبياني:[الوافر]

كَأَنَّكَ مِن جِمالِ بَني أُقَيشٍ يُقعقعُ خَلفَ رِجلَيهِ بِشَنِّ [١]

فقال : خلف رجليه ، ولم يذكر أولاً ما ترجع الهاء إليه ، ولكنه دلَّ عليه بقوله : من جمال بني أقيش ؛ فكأنه قال : كأنك جمل .

ومثله في الحذف والاختصار : (ما من أيام أحبّ إلى الله تعالى فيها الصوم من عشر ذي الحجة)[٢] ، وما رأيت رجلاً أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد ، وما رأيت رجلاً أحبَّ إليه الشرّ منه إلى زيد .

وقال الشاعر [٣]:[الطويل]

مَرَرتُ على وادى السِّباع ولا أرى كوادى السِّباع حين يُظْلِمُ وادِياَ

أقلَّ بهِ ركْبٌ أتَوْه تَئِيَّةً وأخْوَفَ إلاّ ما وَقَى اللهُ سارِياَ

يريد : أقلَّ ركب أتوه تئيَّةً منهم به ، ولكن اختصر وحذف .

ومما جاء في القرآن من المختصرات قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ (النساء:١٥٩) أي أحد ، وكذلك : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ﴾ (البقرة:٢٣٤) والمعنى : أزواجهم يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ . فهذا كثير ؛ منه قول الشاعر : [الطويل]

(١) يضرب لمن لا يتضع لما ينزل به من حوادث الدهر ولا يروعه مالا حقيقة له . و القعقعة تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره ، والشنان جمع شن وهو القربة البالية ، وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل على السير لتفزع فتسرع . وانظر خزانة الأدب ٦٦/٥

(٢) الأحاديث في معنى هذا الحديث كثيرة ، وأوفقها ألفاظاً بما رواه المبرد ورد في : سنن الترمذي ١٣١/٣ : عن أبي هريرة ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة) . وقال الترمذي حديث غريب . والحديث ضعفه الألباني ..

(٣) وهو سُحَيم بن وَثِيل الرياحي ، أورده سيبويه في الكتاب ٣٢/٢ ، وانظر عن هذه المسالة ، وما ورد فيها من شواهد كالحديث المتقدم ومسالة الكحل وبيت سحيم في :كتاب سيبويه ٣٢/٢ و المقتضب ٣/ ٢٤٨ و شرح ابن عقيل ١٨٧/٣ و خزانة الأدب ٣٣٠/٨ و الأصول في النحو ٢٩/٢.[م]

وما الدهرُ إلّا تارتان فمِنهُما أموتُ وأخرى أبتغي العيشَ أكدَحُ (١)

ومن كلامهم : ما منهما مات حتى رأيته .

ومما في القرآن مما يجيء مثله في كلام العرب من التحويل ، كقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ (القصص:٧٦) وإنما العُصبة تنوء بالمفاتح . ومن كلام العرب : إن فلانة لتنوء بها عجيزتها . ويقولون : أدخلت القَلَنسُوَة في رأسي ، وأدخلت الخُفَّ في رجلي ؛ وإنما يكون مثل هذا فيما لا يكون فيه لَبْس ولا إشكال ولا وهم. ولا يجوز ضربت زيداً ، وأنت تريد غلام زيد ، على حكم قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (يوسف:٨٢) ومثل قوله تعالى : ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ ﴾ من كلام العرب قول الأخطل : [البسيط]

أمّا كُلَيبُ بنُ يَربُوعٍ فَلَيسَ لَهُا عِندَ التَفاخُرِ إيرادٌ وَلا صَدَرُ

مُخَلَّفونَ وَيَقضي الناسُ أمرَهُمُ وَهُم بِغَيبٍ وَفي عَمياءَ ما شَعَروا

مثلَ القَنافُذِ هَدَّاجونَ قد بَلَغَتْ نَجرانَ أو بلَغَتْ سَوآتِهِم هَجَرُ

(٢)

كذا رواه أبو عبيدة وغيره ممن أخذنا عنه .

(١) ينسب إلى : تميم بن أُبيّ بن مقبل ، كما نسب إلى العجير السلولي. وفي : خزانة الأدب ٥/ ٥٦ : والمعنى منهما تارة أموت فيها فحذف تارة وأقام الجملة التي هي صفتها نائبة عنها فصار أموت فيها فحذف حرف الجر فصار التقدير أموتها ثم حذف الضمير فصار أموت [م]

(٢) هذه الأبيات من شعر يهجو به جريراً ، شبه رهط كليب بالقنافذ ، لمشيهم بالليل للسرقة والفجور، كما يمشي القنافذ، والقنفذ: يضرب به المثل في السرى بالليل، فيقال: هو أسرى من قنفذ ، وهداجون مشاءون، يقال : هدج يهدج ، إذا أسرع ، والسوءات: الأفعال القبيحة . وكان الوجه : أن يرفع السوءات ؛ لأنها تأتي البلاد ، والبلاد لا تأتي إليها، فقلب اضطراراً حين فهم المعنى . وانظر : خزانة الأدب ٢٧٣/٩ .[م]